كأننا لم نكن هنا!

بشّار يوسف

كأننا لم نكن هنا!

سلسلة شهادات سورية -26- كأننا لم نكن هنا!
بشّار يوسف

لوحة الغلاف: دينو أحمد علي
تصميم الغلاف: فادي العساف

الطبعة الأولى 2018

تمت طباعة هذا الكتاب بمساعدة من جمعية
«مبادرة من أجل سورية جديدة» - باريس

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأية طريقة سواء أكانت إلكترونية، أم ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الناشر:
بيت المواطن للنشر والتوزيع
دمشق الجمهورية العربية السورية
هاتف: 78840213 961+
بريد إلكتروني:
baitelmouwaten@gmail.com

التوزيع:
أطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي
شارع الحمرا بناء رسامني
ص.ب: 6435 / 113 بيروت لبنان
هاتف: 750054 1 961 +
فاكس: 750053 1 961 +
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الناشر.

إلى نـايـا!

تمهيد

أعيش مرّتين كلّ يوم، عيشتين متناقضتين، لكن لغايةٍ واحدة، واضحة في إحداهما، وعبثيّة في الأخرى. أعرفُ جيداً ما أسعى إليه في الوقت الأول، وخلال الثاني أحترفُ متعمّداً تركَ نفسي هائمةً على دخان التناقضات واللاجدوى. فكرةٌ واحدةٌ تحدّد نمط تصرّفاتي، وترسم ملامحَ الطريق إليها وشكل الهروب منها، كمعزوفة «جاز» ثابتة الإيقاع ولا نهائيّة الارتجال. هو ليس بالتِّيه، بل هو التناغم في غير المنتظر بين الضدّين، يسيران معاً في الزمن إلى اللامكان، حيث لا وجود يعلو على صوتها الهوس. أنا، سيّد معرفتي وأسير الأدوات، أختارُ الحدسَ نهجاً لما لا يمكن اقتفاؤه بالمنطق، إذ لا تجارب يعوَّل عليها في مقعّرات الرّوح الهائجة. الجنون! لا بأس به إن كان أقلَّ موتاً من الذاكرة. هي حربي، التي لا جنود فيها إلّاي، أحظى بالنصر والهزيمة، مرّتين، كلّ يوم.

أرسمُ على أرض الهامش دائرتي التي تصير، مع التساقط المتكرّر، حفرةً موشومةً ببقايا أظافري؛ آثار محاولات الصعود. الجدران الخاوية، مرآة العقل، اشتدّت سماكةً. نورٌ باهتٌ كالأمنية السابقة،

اضطرابٌ موسيقيّ مارق، والليلُ خارجاً متاهة. تسعُ ساعاتٍ حقيقيّة حدّ الارتياب. كان يمكن أن أكون كذلك دائماً، لكنّها تلاشت كعطر ياسمينةٍ قُطفت لفرحةٍ آنيّة بقبلةٍ غير مستحقّة.

صباحاً، كاليوم السابق، وأيّامٍ ستلي، أقف لدقائق في الحمّام، محاولاً انتزاع وجهي من المرآة، كي أتناسى وزني المتناقص. أتذكّر مجدَّداً أن لا شيء أفضل من السجائر والقهوة، وبعض الموسيقا، التي أحياناً صرت أسمعها بصوتٍ عالٍ، بعد أن أُجبرت على ترك هذه العادة، إن صحّت تسميتها كذلك، خلال فترة الملاحقات الأمنيّة. أجلس مكاني، أو في ما تبقّى لي منه، مسترجعاً نكهة القهوة في غرفتي التي لن أعود إليها. لا شيء يشبه غرفتي، لا شيء يشبهني. تتهامس إليّ كلماتٌ لن أرغب في كتابتها. أحاول تدارك ما فاتني، فأغفو. هناك، حيث أصل، أستمرّ في الهرب من شيء لن أتذكّره حينما أستيقظ، أو أبقى نائماً مكبّل اليدين ريثما يصبح النهوض واجباً. مرّة أخرى أستشعر الحاجة إلى طقوس القهوة والتدخين والموسيقا. لن أنسى شيئاً، كما يبدو، ولن أتذكّر كثيراً من الأشياء أيضاً. يمسي الليلُ بعيداً، لكنّي أنتظره، ككتابٍ لن يقرأه أحد. هذا السواد يذكّرني دوماً بعجزي، تماماً كما كنتُ ساعة انهالوا بالضرب عليها قبل اعتقالها. لم أكن جباناً، أو ربّما كنتُ كذلك، لكنيّ لن أسمح للموت بأن يداهمني مرّة ثالثة. ألتفتُ إلى صديقي الذي كلّمني من معتقله، وأحدّثه عن الذين لم يتمكّنوا من مكالمتي. رغبةٌ ما تأخذني بعيداً. سريرٌ قديم، الحرّ يستعرّ كلّما اقتربتُ من شفتيها. يتعالى صوت البيانو، أبحث عن ولّاعتي، فلا شيء أفضل من القهوة والتدخين والموسيقا عندما أتذكّر أنّي نُسيتُ في مكاني، أو في ما تبقّى منه.

كدتُ أعرف الآن الاختباء؛ أن أنصهر في الظلمة، حيث يختبئ جميعهم، دون أن يلحظوني، أن أتجاهل صوتي وأنصت، أن أنتظر، دون مجيء أحد، أن أفعل كلّ ما لن أفعل، على الأقلّ هنا، أن أعرف التوقيت ثمّ أنسى كم قضيت ومتى سأنصرف. أداعب لحيتي شعرةً شعرة كالبيت القديم، أتأمّل تناثر بقايا السجائر حول رقعتي حتى مفتاح البيانو الأخير، أصبح شاعراً حيناً، أخرقَ، لا يكترث بي المطر، ولا أنا. مجدّداً، أسقط. ليس لي أن أنهض، تنقصني الرغبة، فقد تركتُها مقعداً لفسحةٍ أخرى يزورها غيري.

توقّف ههنا وتذكّر!

أرتهنُ الحاضرَ لدى الغدِ القريب – البعيد،

وأقولُ للمستقبل:

تمهّل!

لم أنتهِ من الماضي بعد.

تركتُ هناكَ رصاصةً أخطأتني

وأصابتِ الآخر.

هو أيضاً كان ينتظرُك.

..

أُمسِكُ القلمَ وأنتظرُ.

ماذا تحملُ للورقةِ غيرَ أغانٍ

لم نملكِ الوقتَ لنعزفَها؟

لماذا كنتَ بطيئاً،

وبخيلاً،

إلى هذا الحدّ؟

..

أتمتمُ المرثيَّةَ ذاتَها،

وأحفرُها على صورةٍ

لشاهدةِ قبرٍ لم أزرْه،

فما هذا الحنينُ الآنَ

إلى حجرٍ وشجرتَين وعُشب؟

..

توقّفْ ههنا وتذكّر:

كم ياسمينةً لملمها ذاك الطفلُ من الأرصفةِ لطوقِك

دون أن تنتبهَ للرصيفِ

الذي سيقتلهُ

في الغدِ المؤجَّل؟

..

توقّفْ ههنا وتذكّر:

كم قبلةً مَنَحَتْكَ عند الظهيرةِ

مع فنجانِ قهوتِكَ

دون أن تنتبهَ لأناملها تشيخُ في الغياب؟

..

توقّفْ ههنا وتذكّر:

كم كنتَ طفلاً

ولم تكبرْ في ضجيجِ العَدَم؟!

هو، أنا، وهي

هو

على بعد رصاصةٍ من الموت،
أو أقلّ،
خلعتُ عنّي ذاكرتي،
وصرخت...
لم أميّز حينئذٍ
وسط ازدحام الدخان والمطر
سوى وجه صديقي الدّامي؛
دمه،
دموعي،
هتافٌ وقنّاص.

أنا

أنا، من أنا؟
عمَّ أبحث؟
وماذا أفعل؟
أطاردُ ظلالاً تحسبني ظلاً.. فترحل
أنا لا أرفض ما أنا عليه،
ولا أقبل
أترك للخمر هواجسي
فأراه بها يثمل
أمنحُ الحياةَ ما أملك
لكنّها كالعاهرة؛
تزني ولا تحبل.

هي

بعد عمرٍ من التعب...
التقينا؛

يملؤنا الحنين لما سيكون.

حاملين في حقائبنا

مسافاتٍ من الكلمات المُشرّدة.

هنا،

على بعد صفّين من العسكر... وأكثر،

صار للمطرِ صوتها

وللوطنِ وجهها

وآلاف الطيور المُبعَدة.

عناق

على حافة الهاوية
استيقظَ الحلمُ على شفتيكِ
مُجدِّداً فيّ
حرباً قديمة.
هنا،
في بلادٍ لا شيء لنا فيها
سوى أحلام العودة
حيث يختلط المطر بالدمّ
موجودان نحن في عناقٍ طويل.

ترنيمة التراب الأخير

ما هذا الذي يعبث بالقدر

يحاول تسريع الزمن

يقاربُ الأيّام، يضغط الساعات

ويصنع لكلٍّ منّا كفناً؟!

يا أغنية الصمت في جدران مقبرة!

أسمعيني صوت ارتطام الدمع بالتراب!

أريني تبعثرَ الحياة حول كلمة!

عانقي شفتي وارفعي صوتكِ!

يا لحن الموت قبِّل جبيني!

وامسح عن عينيها تلك الدمعة

فأنا لا أستحقّ بكاءها!

فليتسرّب إيقاعكِ إلى جسدي!

وليتوارَ عن الأنظار اليائسة!

يا رقصتي الأخيرة

اجلبي لي معك ورقةً خريفيةً،

لأعطيها لأمّي،

عوضاً عنّي

كي تتذكّرني كلّ مساء.

تشرّدت الكلمات في شوارع الصمت

تمدّدت في داخلي جثّتي

أغمضت عينيها بهدوء، ونامتْ

رحلَت عميقاً عميقاً

وبقي الألم حيث كانتْ.

فَخّ الانتظار

(1)

أسرق من دقّات الساعة

قلقي وهواجسي

أمنحها وقتاً إضافيّاً لتنمو

أعطيها سريري لتغفو

وأبقى أنتظر.

(2)

أقتربُ من الساعةِ خائفاً

أنظر إليها،

أراقب...

تعود اللحظة ذاتها مرّاتٍ ومرّاتْ

أشعرُ بتعبها وقلقها

كيف تقتلُ اللحظاتُ اللحظاتْ؟

أعدُّ حركاتِها

تتلاشى حركاتُها

يأسر السكونُ ما بقيَ من حركاتْ.

(3)

تتمزّق كلماتي بين كفّي الانتظار

فتنثر أشلاءها ريحٌ باردة

لتسافر في صمت

وهناك.. في الأفق البعيد

ترتمي بقايا أناملي

تحيك لنفسها حلماً لعامها الجديد

تطارد بصماتها

تبحث لنفسها عن كفٍّ قويّة

عن كفٍّ من حديد

تلملم كلماتي

لتعيد صياغتها من جديد.

(4)

بصمتٍ.. لساعاتٍ طويلة

بصمتٍ شديد

تركتُ قلمي تائهاً

في بياض الأوراق

وبصمتٍ أشدّ

أسندت رأسي إلى وسادتي

عابثاً بخيوطها

كانت، كأنفاسي،

تداري هواجسي

تضمّني لساعاتٍ أخرى طويلة

يتسلّل النوم إلى جفوني

يرميني في خوف الحلم

لأعاني منه بصمتٍ لساعاتٍ طويلة

أذكر أحلامي بتفاصيلها

زواياها المتعفّنة، صخبها، عجزها، قناديلها

وبصمت

وقفتُ لساعات طويلة

متأمّلاً تمزّق وجهي وتشرّده

رغم ضياع ملامحه فهو يشبهني

(5)

سئمتُ القوافي وضجرها

سئمت من البحث عن الأوزان والكلمات المناسبة

- قيودٌ تثير الاشمئزاز -

لا شيء أجمل من كلمة صامتة

مجرّد كلمة

تتحدّث بصمت..

لساعاتٍ طويلة!

(6)

غمّدوني بأحزاني.. وتركوني

في فخِّ الانتظار

أبحث للأسماء عن أسماء

أرتّب أصابعي

أمسح عن جفوني الغبار

«يشرقُ الماضي فيَّ أم أشرقُ فيه؟»

كم أتوقُ إلى عناقٍ طويل،

طويل..

بطول انتظاري!

أُلملم بقايا كلماتي

أنثرها

ألملمها وأنثرها

أتأمّلها..

أسوقها إليكِ كقطعان الخيل

تسبقها إليكِ أشواقها

حاملةً على ظهورها صوتي،

ينادي:

عِديني بالمجيء إليّ غداً

عديني بالغدِ

كي أبقى لغدي

(7)

كرياحٍ غريبةٍ عن الصخور

أحيا

متنقّلاً، مرفوضاً، عاجزاً

لا أملك إلا ذكرياتي البعيدة

أترك جبيني بين كفَّيّ؛

أسير وحدي

أنام وحدي

لا شيء حولي سوى دخاني

أخبّئ الوقت في قدحي وأمضي

على حافة الطريق أمشي

وحيداً، كالضجر

يمرّون بجانبي

ينظرون إليّ أو لا ينظرون

يبتسمون أو يتجهّمون

أحملق فيهم،

أحاول كسر الصمت،

أتوقّف وأكتفي بالنظر

أعود إلى غرفتي هارباً

أستعيد ما تركته لي من صور

أفرغ لديها ما أعاني

فتبسم لي

وتغمزني كما لو كانت قمر

أضمّها، فيرتدّ عني وجهي

يرميني إلى الطريق

يتمتم:

عبثاً نغنّي أناشيدنا

فالريح تبدّد الصوت

كما يبدّد حذاءٌ التراب.

على أرصفة الشوارع

(في ذكرى أخي.. الطفل أبداً!)

اتركيني مع ليلي يغطّيني
يردّد صدى أفكاري
ويحميني
تمرّ نسماته ثقيلةً
يخطفني منّي قبل أن تسمعيني
تعالي إليّ بعد نومي
قيّديني،
واتركيني أحلم له
بصورٍ مشرّعةٍ للشمس كالياسمين
أحلم له بقبلةٍ في الجبين
بلعبةٍ تردّدُ اسمه

فتضيق بصدى اسمه الغرفة

والنوافذ مغلقة

والجدران قاسية قسوة القدر

وهذه الإحدى عشرة سنة

مضت كمحطّةٍ للسفر

أنعى إليكِ وجهه

أنعى إليكِ صوته

فابكيه

عمّديه بالدمع

وتذكّري اسمه

كلّما مررتِ بطفلٍ يلعب

تذكّري قصّة الطفل الذي مات

قصّة الفرح المقتول

على أرصفة الشوارع

فغداً

تنسى الأيّام جريمتها

وتمرّ الريح على قبره

دون أن تبكي.

أزقّة دمشق

لا تكترثُ الأزقّة بنا
إذ نمرّ بها عابسين
ولا تشتاقُ لخطانا
حينما نبتعد
إلا أنّنا
نواظب على تكرار أوهامنا عنها
حتى تصير وَجْداً
وسرعان ما نجد
من يطرب لترّهاتنا.

يوماً ما

يوماً ما
سيهدأ هذا الليل المسعور بآلامنا
لأخيط لك فستانك الأبيض
فأنا الملعون بغربتي
لم أُمنح فرصةً إلا للحنين.
تتوزّع الأيام حول دائرةٍ من الخوف
تمادت في استدارتها
ليطول ليل المُبعدِين.

لا يُمنح الخلود إلا من يموت

على جدار الوهم
يحفر كلماته
يركض في اللاشيء وهو يردّدها
ينسج منها ألوان الطيف
نقشاً على كفنه.
ومن المغيب يعود
حاملاً صوته في يده اليمنى
ونعشه في الأخرى
تعلوه حمامتان
ينادي: أنا القادم إليكِ؛
أنا المنتَظَر
بين الغيوم مسكني

- هكذا أخبروني -

قالوا لي إن من يموت

سيُسكَن الغيوم

ويُمنَح الخلود

لا يُمنَح الخلودَ إلا من يموت

لا يُمنَح الخلودَ إلا من يموت

هروب إلى الثورة

لا تبحثي عنّي
لا تبحثي فيَّ عن جَسَدْ
فأنا مُبعثَرٌ كنهايةِ قوسِ قزحْ
ممزَّقٌ كالزَّبَدْ
لستُ خلاصكِ الذي تنشدين
فكلّ الأنبياء ماتوا
وزمن الأبطال ولّى
وأنا أتنقّل بين شكّ ويقين
ابتعدي عني
فحروفي تكاد لا تُرى على الدفاتر
ولغتي تؤول إلى زوال
وآمالي تقاسمها المخبرون والعساكر

أسيرُ بخطاً مترددة

حاملاً في حقيبتي

كتباً، صوراً، وأحلاماً مبدَّدة

تنير الذكريات دربي

فأرمي الحقيبة في النهر القريب

وأدفع بخطواتي المتمرِّدة.

مهما يكن

أضاجعتها؟ مهما يكن
فالمخمورة تضاجع أيّاً يكن
هي لن تذكر وقع أناملك على نهديها
وحين تسألها ستقول: لم يكن
ارحل عن أوهامك
فأنت المخمور كنت... هي لم تكن.

الغريبة

هي الغريبةُ عنّي
إذ تسلّم نفْسَها للريح،
والريحُ كتاب الكلمات المشتَّتة.
لا أبْعدَ من يدها
حيث تقف
مختالةً بما تهذي
كعشبةٍ
ضلّت الصحراءُ عنها
فتمادت في اخضرارها.

كن صلاتك

لا تُنِر شموعاً،
واترك نافذتك مفتوحةً
بانتظار الريح
تهدهد الستارة
وبقايا دخانك.
كن أنت؛ كما ستكون،
وانسَ ما كنتَ
وما كان،
وكن صلاتك.

رصاص

على عتبة فرحٍ ما
تساقط الياسمين من الذاكرة
منهكاً بصوت أمي:
لا تخرج!
أخشى أن تضيع وسط الرصاص!

شعر

في التنقّل المتواترِ بين الحلمِ والعدم،
وقتما تتعشّقُ شراييني بأنفاسِها،
يكون الشِّعرُ:
حظّاً هارباً من مفردات الأخبار،
وخصلةُ الشَّعرِ: قافية.

اجترار جزئي

ما أطوله ذاك العناق الذي فاتنا!

أهو من أضاعنا؟

أم نحن تركناهُ؟!

لطالما صرخ فينا أن نعود

لكنّنا تجاهلنا صراخهُ

حتى اعتدناهُ

تجاهلنا كلّ ما فينا

حتى صرنا غيرنا

ما الذي بأنفسنا قد صنعناهُ؟

كيف تعلّمنا أن نقسو؟

ومَن علّمنا؟

ولماذا لا ننسى ما علمناهُ؟

أصبحنا كالصخر،

لا بل أقسى،

فللصخر مع النهر حكاياهُ

نجترّ الكلمات والأغاني

والموت يعصف بطفلٍ تناسيناهُ

كرّسنا كلّ جهدنا للصمت

حتى صار ربَّنا... فعبدناهُ

فلا اللهُ جاءه،

ولا نحن ثرنا،

فعاش الملك

ومات الطفلُ وألفٌ سواهُ.

تجدّد

سرقوا دموعي، ومضوا
منعوني من توديع شكلي
تركوني بلا صوتِ.
بعيداً عنهم،
في عمق غرفتي
عندما يهبط الليل
ويتعبون
سأقيم عرسي
وسأبقى وحدي
أختار أسمائي، إلهي وصلاتي.

دعوة

عينايَ تناديكِ

فتعالَي،

كمواسم القمحِ،

كالسُّكْرِ، كالموتِ، كالصبحِ

عينايَ ما نفعهما

إن غبتِ أنتِ عنهما؟

خَلَتِ الدار من عينيكِ

فأيَّ دارٍ أسكن دونهما؟

أتدلّى من عينيكِ كغصنٍ نديّ

يتأهّب لشروقٍ جديد

أرنو إليكِ

أمدُّ يدي إلى يدكِ

فتنأى وتختبئ.

هناك.. بعيداً في الوهم

تتسلّق أشواقي على كتفَي الأمل

ترتدي ثوب عرسها

ترتمي على حدود السماء

تبكي وتبتسم في خجل.

ماذا أقول؟

ماذا أقولُ

وأنتِ بعيدةٌ

وإن دنوتِ.. كالطيف تمرّين؟

ماذا أقولُ

وفي البالِ أحاديثُ كثيرةٌ

وشوقٌ وعتابٌ وأنين؟

ماذا أقولُ

والعمر يمضي

وأنا في سجون الصمت مرميٌّ

أعزف لعينيكِ حتّى يحفر اللحن أناملي

صارخاً: متى تعودين؟

أراكِ مع الفجر مشرقةً

في الليل مشرقةً

في القلب مشرقةً

ولا تشرقين

أراكِ في كلّ الدنيا

وأرى الدنيا عندما تتحدّثين

ماذا أقول

ولمن أقول

إن كنتِ بعيدةً.. لا تصغين؟

أجالس مقعدنا

فيتوسّلني أن أعيدكِ

يتوسّلني أن أضمّكِ حين تبكين

أبحث في الأشياءِ عنكِ

وعن كلّ شيءٍ كنتِ به تهتمّين

ولكنّ العجز يوجعني

وظنوني توجعني

فهلّا تخبريني اليقين

ماذا أقول

وأنا أراكِ تبتعدين؟!

مذكّرات شخصية

اليوم بدايةٌ جديدة
تُفرغ رُفات الماضي
على جدران ذاكرتي؛
تنهي ماضياً
وتبدأ بتدوين ماضٍ جديد؛
تصنع لي أكفاناً جديدة
لأنتهي نهاية جديدة.

**

اليومَ حاولتُ ملء الفراغ بالصدى؛
بحثت عن شمسٍ جديدةٍ لتغيب...
لكنّي فشلتُ في رسْم لونٍ جديد لعينيّ

وفشلتُ في منع صوتي من النحيب.

**

اليومَ غنّيتُ أغنيةً جديدة،
لكنّها تحمل الكلمات ذاتها.
واليومَ شاهدتُ ملائكةً
تمارس العادة السرّية،
وجثثاً، دماءً، أشلاءً، قبوراً...
اليومَ غنّيتُ الأغنيةَ القديمةَ ذاتَها.

**

اليومَ كان الصباح يعاني من الجرائد؛
كانت جدران المرحاض منقوشةً بالروايات،
وللقيء المتدفّق من فمي رائحةُ القصائد.
اليومَ كانت أحلامي تُعَنْوَن فوق الوسائد.

**

اليومَ بقيت الشجرة
عاريةَ الأغصان؛

كانت تغنّي وحيدة
بينما العصافير تنأى
والأوراق تتساقط
كدموع الأقحوان.

**

اليومَ كان المطر مختلفاً؛
كان كئيباً، حزيناً، خالياً من الذكريات.
كانت قطراته،
قبل أن تُطلِق حشرجة الموت،
تموت في السماء.

نهاية / بداية

تلك الردهة المظلمة هناك
تتّسع بهدوء موحش
تنبثق عنكِ
تصنع جداراً من الأوهام بيني وبينكِ
ترسم الموتَ على شفتيكِ
فيعتلي كاهلي فراغٌ تفوح منه رائحة التراب
يحني ظهري ويقصيني
وعرفت أنّه خلفه كلّ شيء ينتهي
وكلّ شيء يبتدي.

لحظات أخيرة

كلما داعب الوتر أصابعي
مخبّراً عنكِ
تجدينني أبكي
هرباً من الشوق أبكي
هرباً من النسيان أبكي
يزورني الماضي متسلّلاً
كرائحة الياسمين
حاملاً معه المطر
يحميني من الآتي
يحدّثني عن ثلج شباط
وشمس نيسان
أين كنّا

وكيف باعد بيننا

ضجيجهم وخوفهم.

بعد أيّامٍ سترحلين

فيبقى الوقت ضائعاً

بين الذكرى والحنين

أعدّ الدقائق المتبقّية

مترقّباً

كنملةٍ في الصيف

ولا يبقى سوى صدى أوتاري المتباعدة

يسابق الفئران في دهاليز أعضائي المتهالكة:

ردّدي اسمي

كلّما مررت بهذه الأيّام

ردّديه كما كنتِ تفعلين

ردّديه كأغنية

ولا تتوقفي.. حتى أنام.

هوس عبثيّ

كخيطٍ يتدلى من وسادة
أزور الليلَ استجداءَ حلمٍ
لم يعرف طريقه إلى سباتي
لا تبحثي عنّي
دعيني أطارد خطاكِ
وسألقاكِ حتماً
في أحد الأزقّة
تسألين عنّي
أو ابقي بعيدةً كما ترغبين
فيكفيني أن تدنو منّي ذكراكِ
وفي الظلمة،
حيث ينتظر النور دوره،
ستجدينني أحبّك.

هوامش ورقيّة

- 1 -

يا ملائكة السماء

ثوري وتمرّدي!

ارمي دفاتركِ،

وزغردي!

ارقصي، هلِّلي وصفّقي

فحبيبتي قادمةٌ في غدِ!

- 2 -

بينما ينتظرني الطائر في السماء

أجلس أنا قرب نافذتي

أعدّ الغيوم.

- 3 -

هذا المكانُ ما عاد يبقيني
كطفلٍ تعلّم التقبيل
فالأبواب الموصدة جديرة بالعواصف
لا شيء يجمعني بوطني
سوى ما أرغب في أن يجمعني به،
كلُّ شيءٍ عدا ذلك ضلالة.

- 4 -

في بعض المساحات
شجرة واحدة تكفي للإبقاء على الحياة،
وإن كانت بلا أغصان.

- 5 -

هجرتُ نفسي حتى نسيتها
لم أحمل معي أكثر ممّا تركتُ
فأنا المُستَلَبُ حتى الرصاصة الأخيرة
سأموتُ بقصيدةٍ لا رويَّ لها.

- 6 -

قل لما تبقّى من بردى إنه ينتفض في الذاكرة كقُبلةٍ مسروقة...

الليل البعيد

المَدُّ الأسودُ يسحبُني عميقاً
والليلُ،
هو الآخرُ أسود
وخلف السوادِ ليلٌ أَبعَد.

كأنّني لم أكن هناك

مجدّداً،
أعدتُ ترتيبَ أصابعي
بما يتناسبُ مع الأغنيةِ الجديدة
لم أنسَ أن أتركَ فراغاً صغيراً عبرَها
من أجلِ لفافة تبغٍ
كان يمكن أن تكون الأخيرة
تركتُ عينَيَّ معلّقتين على الجدارِ الباردِ
وكرّرتُ محاولاتِ العَزف
أخطأتُ، مرّةً أخرى، في العلامةِ ذاتِها
فلُمتُ الوترَ القديمَ الذي لن أغيّره
قاطعني طَرْقُ الرحيلِ على النافذة
وضعتُ كلّ الأشياء في مكانها القديم

ورحلت

لم يلحظ ساكن البيتِ التالي ما تغيّر

وكأنني لم أكن هناك

وكأنّهُ لم يأتِ بعدي.

رحيل

مرَّت اثنتا عشرةَ سنةً
وأنا ما زلتُ عالقاً
بين إيقاظه صباحاً
وتقبيلِ جَبينِه في اليوم التالي.
لم أفهم بعد ما فاتني هناك
أجدُهُ، كيومِ رحيله، يبتسمُ إذ أبكي!
لستُ أبكيهِ شوقاً؛
هو العجزُ يتمادى.

لن أنسى

لا أحتاج في منفاي إلا مزيداً من الهدوء، كي لا أنسى أنني منفيّ. لا يستهويني تكرار الألم إلا أنني أحتقر نفسي إذ أنسى. أجل؛ فأمواج البحر لطالما تشابهَت، لكنّها تحمل لكلّ ناظر شيئاً مختلفاً. تتتابع الصور، إنما بترتيب مختلف في كل مرّة، وحتّى حين يتشابه الترتيب، لا أجد صعوبةً في اكتشاف أحاسيس جديدة بها. ويصل بي الأمر أحياناً أخرى إلى عيش التفاصيل ذاتها، كي أعوّض بها صورةً سقطت من إحدى السلاسل.

صدر من سلسلة «**شهادات سورية**»:

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» ـ باريس:

1. موزاييك الحصار، عبد الوهاب عزّاوي.
2. إلى ابنتي، هنادي زحلوط.
3. بين الإله المفقود والجسد المستعاد، نبراس شحيّد.
4. كَمَن يشهد موته، محمد ديبو.
5. حكايات من هذا الزمن، دلير يوسف.
6. لم أتمدد يوماً على سكة قطار، أحمد باشا.
7. مزهرية من مجزرة، مصطفى تاج الدين الموسى.
8. غرفة تطل على الحرب، إيديت بوفييه.
9. إذا قفزت عن السياج ولم أصب بأذى، عمرو كيلاني.
10. أرض مائدة، ضحى حسن.
11. لم تنته الحكاية بعد، رؤى الإبراهيمي.
12. إكثار القليل، دارا عبد الله.

بدعم من المنظمة الأورو ـ متوسطية لدعم المدافعين عن حقوق الإنسان:

13. رسائل من سورية، وجدان ناصيف.
14. يوميات وقصائد، علي جازو.
15. انسَ دمشق، عمر يوسف سليمان.

بمساعدة من جمعية «مبادرة من أجل سورية جديدة» ـ باريس:

16. ما تبقّى من حياة، سهى زكريا.
17. لا تغمض عينيك!، د. حسّان عبّاس.
18. الدرب مسامير، منار سهران شلهوب.
19. قنديل أم هاشم المفقود، عدي الزعبي.
20. الموت كما لو كان خردة، وداد نبي.
21. مذ لم أمت، رامي العاشق.
22. كأنها قيامة، محمد صدّيق عثمان.
23. خالي الذي في قبضتهم، ملاذ الزعبي.
24. مغلقة بسبب الإصلاحات، منذر مصري.
25. منازل الأوطان، نجاة عبد الصمد.
26. كأننا لم نكن هنا، بشّار يوسف.